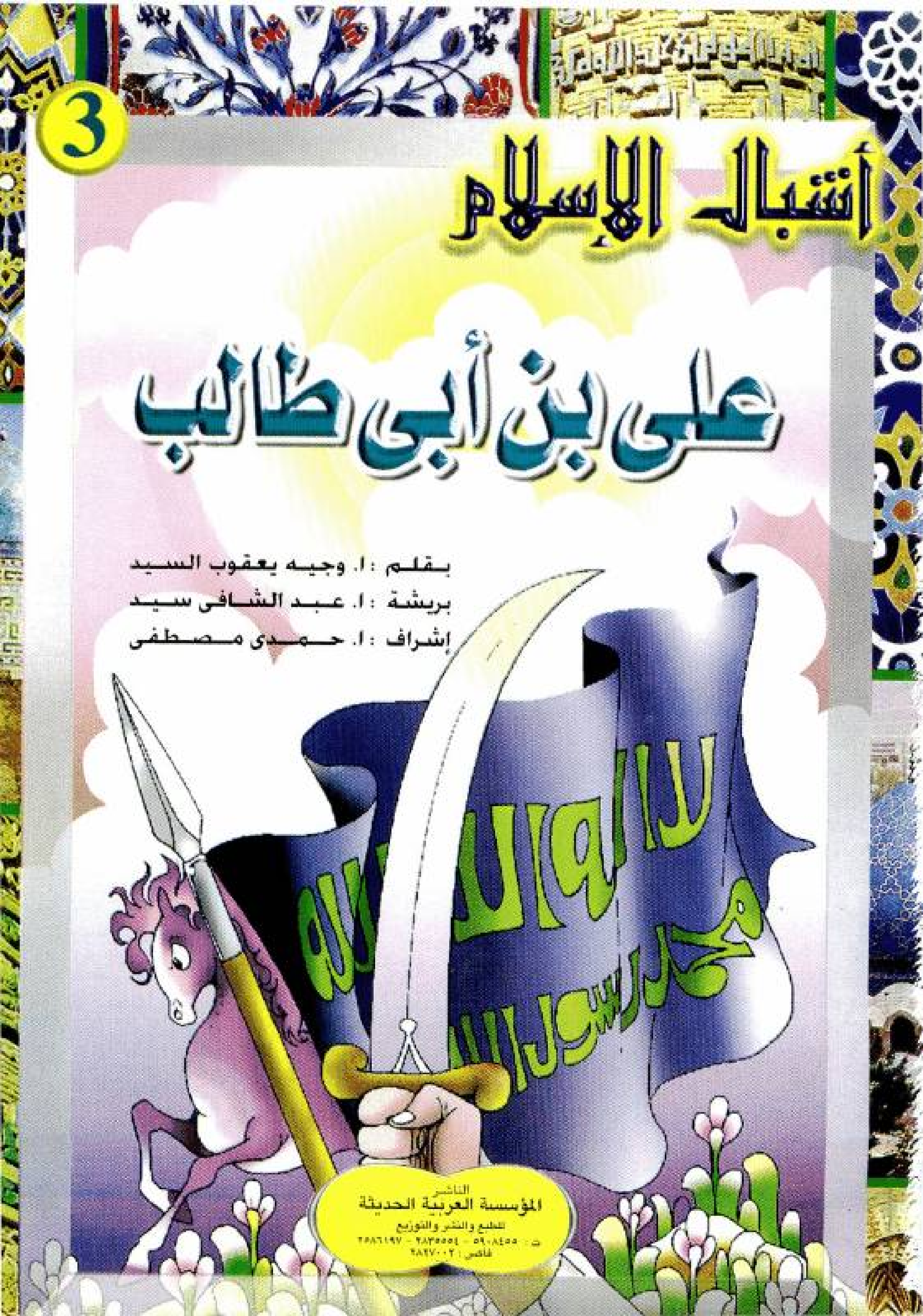

3
أشبال الإسلام
على بن أبى طالب
بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى
لا إله إلا الله
محمد رسول الله
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٩٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٩٨٤٧٠٠٢



أشبال الإسلام

3

الطفولة، مرحلة مهمة للغاية. وهى ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الانسان فى شبابه وفى رجولته.

وفى هذه السلسلة تطالع:

صورا مختلفة للنبوغ والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند «أبطال صغار» صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم، فكان من بينهم: العالم، والمحارب الشجاع، وقائد الجيش.

إن «الطفل الصغير» يستطيع أن يعرف دوره فى الحياة، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه.

وسوف يجد الطفل المتعة فى أثناء قراءة هذه السلسلة التى كتبت بأسلوب قصصى مشوق ولغة أدبية شفافة.

وجيه يعقوب السيد

مدرس مساعد بكلية الألسن

جامعة عين شمس

على بن أبى طالب

بقلم: أ. وجيه يعقوب السيد

بريشة: أ. عبد الشافى سيد

إشراف: أ. حمدى مصطفى

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٦١٩٧

فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

هذا الْفَتَى الْمُبْهِرُ الذى نلْتَقِى به الآنَ ، يُعْتَبَرُ بطلاً من طِرازٍ فَريد مِنَ الأبْطالِ ، بطَلاً بالْمعنَى الْحقيقىِّ لهذه الْكَلِمة .

بُطولَتُهُ شَىْءٌ خارِقٌ للْعَادةِ ، تَنْحنِى أمَامَها كلُّ الْبطولاتِ التى نَعْرفُها احْترامًا وتَقْديرًا .

فإذا كانت الْبُطُولةُ تَعْنِى : الشَّجاعَةَ والْقُوَّةَ ، فإنَّ شجاعتَهُ فى ساحاتِ الْقتالِ شَىْءٌ يُشْبِهُ الأَساطِيرَ .

وإن كانتِ الْبُطولَةُ تَعْنِى : رَجاحةَ الْعقْلِ والنُّبوغَ فى الْعِلْمِ ، فصاحِبُنا يُعْتَبَرُ واحدًا من الْمَشْهُودِ لهمْ بالتَّفَوُّقِ فى هذا الْمجالِ .

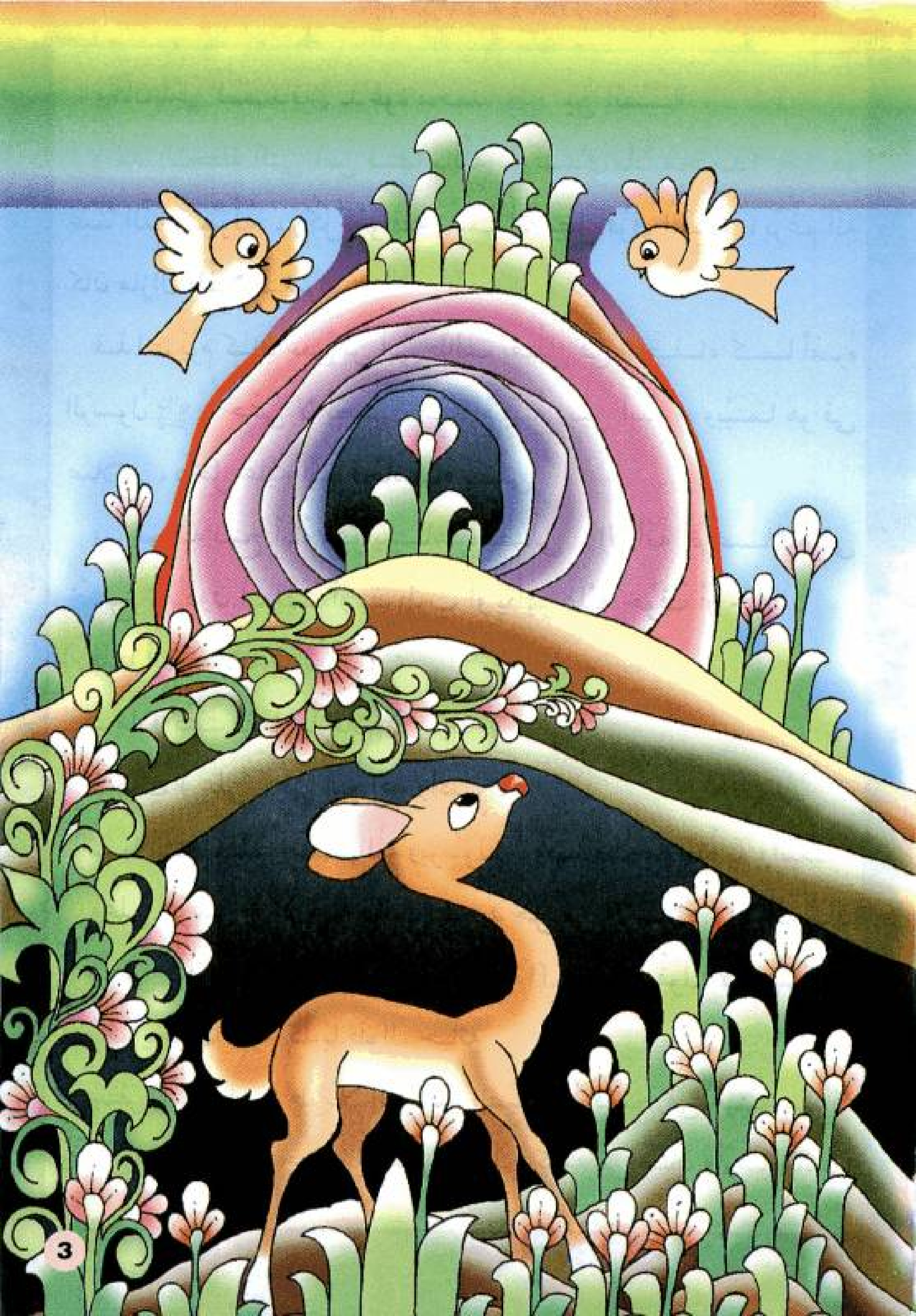
وإنْ كانتِ الْبُطولةُ تَعْنِى : الْعبادَةَ والاسْتقامةَ والزُّهْدَ ، فعلىُّ بْنُ أَبِى طالِبٍ راهِبٌ فى محْرابِه ، لا تَراهُ رَاغبًا فى زِينَةِ الدُّنْيا ومبَاهِجِها .

إنَّ بطولَتَهُ هى كلُّ أُولَئكَ ، بطولَةٌ فريدَةٌ ومُتميِّزَةٌ فى كُلِّ مجالٍ مِن مَجالاتِ الْحياة .

وَقدْ بَدأتْ هذه الْبُطُولةُ تظْهَرُ معهُ مُنْذُ أنْ كانَ طِفْلاً صَغِيرًا لم يبْلُغِ الْعاشِرَةَ من عُمْرِه .

وضربَ أرْوَعَ مثَلٍ لكلِّ الأَشْبالِ فى التَّضْحِيةِ والْفداءِ وفى نَباهَةِ الْعَقْلِ وذَكاءِ الْقَلْبِ ونَقاءِ الْفُؤادِ .

عَرضَ الرسولُ ﷺ عَلَيْه الإسْلامَ ، وعُمْرُهُ أَقلُّ مِنَ الْعاشِرَةِ ، فلَمْ يتَرَدَّدْ لَحْظَةً فى الدُّخولِ فيه .



وكانَ أوَّلَ الْمُصدِّقينَ بدَعْوةِ محمد ﷺ مِنَ الصِّبْيَةِ .

ومُنْذُ اللَّحظةِ التى آمنَ فيها باللَّهِ ، وصدَّقَ بأنَّ مُحَمدًا ﷺ هو عبدُ اللَّهِ ورسُولُهُ ، وكُلُّ مَواقِفه تُثْبِتُ أنَّهُ بطلٌ فوْق العَادَةِ ، برَغْمِ أنَّه كان مازال طِفْلاً صغيرًا .

فذاتَ يَوْمٍ كانَ عليُّ بنُ أبِى طالِبٍ يُصلِّى فى الْخَفاءِ كما أمَرهُ الرَّسولُ ﷺ ، حتَّى لا يَحْدُثَ صِدامٌ بيْنَهُ وبيْن أبِيه . وبيْنَمَا هو فى صَلاتِه ، دَخلَ عليْه أبُوه فجْأَةً فرآهُ يُصلِّى .

وبرغْمِ أنَّه لَمحَ أبَاهُ وهو يُشَاهِدُهُ يُصلِّى ، إلا أنَّه أتَمَّ صلاتَهُ فى خُشُوعٍ تامٍّ دُونَ أنْ يهْتَزَّ أوْ يضْطَربَ أو يَظْهَرَ عليْهِ خوْفٌ أو جَزَعٌ .

فلما أتَمَّ صلاتَه سألهُ أبوهُ :

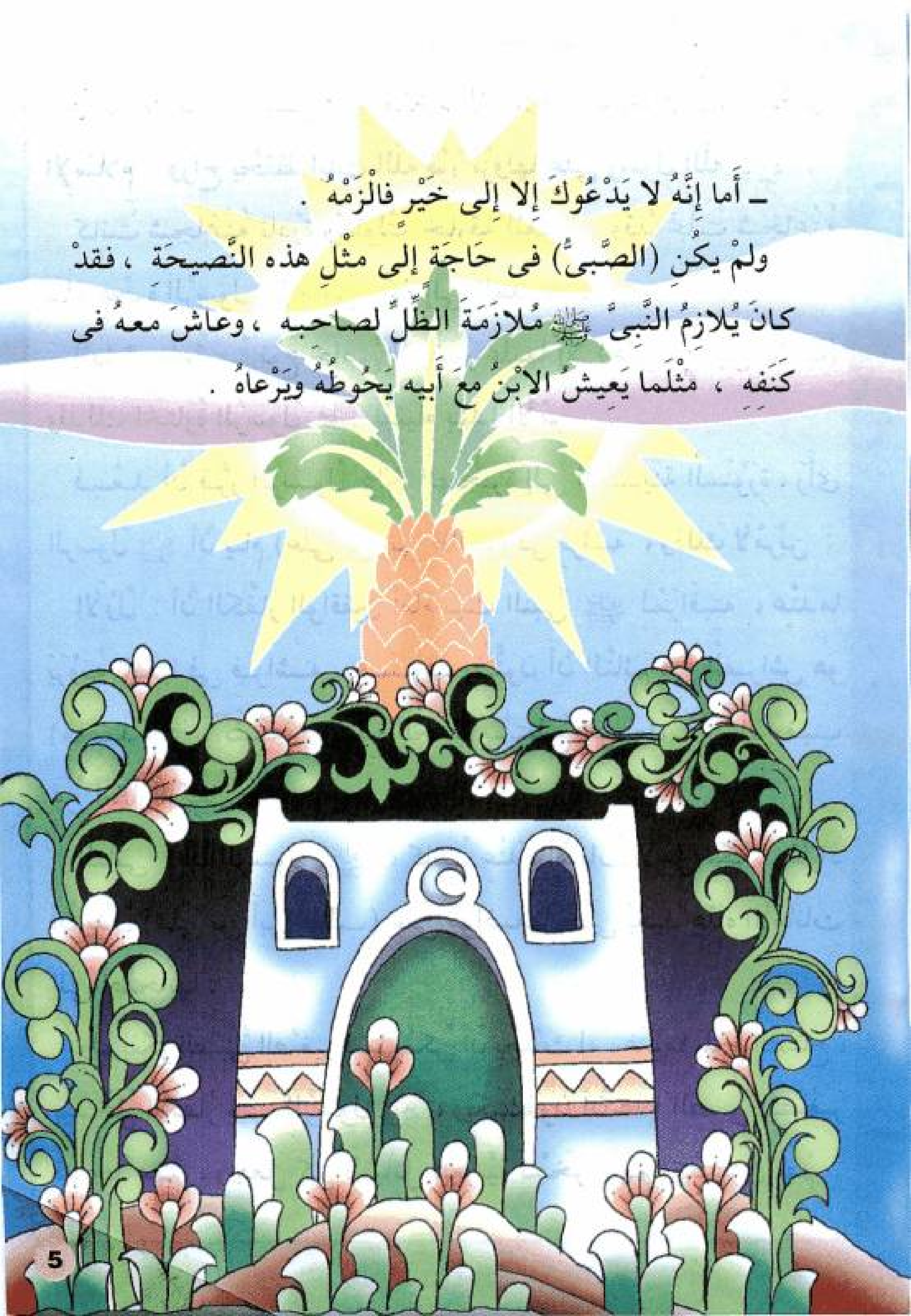
ـ ماذا كنْتَ تفعَلُ يا غُلامُ ؟

فأجابَ (عليٌّ) فى شجاعَةٍ وأدَبٍ .

ـ يا أبَتِ ، لقدْ آمنْتُ باللَّهِ وبرَسُولِه ، وصدَّقْتُ ما جَاءَ بِهِ واتَّبعْتُه .

وعلى الرَّغْمِ مِنْ أنَّ (أبا طالبٍ) لم يدْخُلْ فى الإسلام ، إلا أنَّهُ كانَ يُؤْمنُ فى قَرارَةِ نفْسه بأنَّ ابْنَ أخيه (مُحمَّدًا) ﷺ لا يَقُولُ إلا الصِّدْقَ ، فهوَ لمْ يُجرِّبْ عليه كَذِبًا طوالَ حياته .

ونظر (أبُو طالب) طويلاً إلى ابْنِه الصَّغيرِ ، فلمَحَ فى عيْنَيْه صِدْقًا وإصْرارًا على اتِّباعِ محمد ﷺ ، فربَّتَ على كتِفه فى حنانٍ وأوْصاهُ قائلاً :



ـ أَما إِنَّهُ لا يَدْعُوكَ إِلا إِلى خَيْرٍ فالْزَمْهُ .

ولَمْ يكُنِ (الصَّبىُّ) فى حَاجَةٍ إلى مِثْلِ هذه النَّصيحَةِ ، فقدْ كانَ يُلازِمُ النَّبىَّ ﷺ مُلازَمَةَ الظِّلِّ لصاحبه ، وعاشَ معهُ فى كَنَفِهِ ، مِثْلَما يَعِيشُ الابْنُ معَ أَبيه يَحُوطُهُ ويَرْعاهُ .

وأخذ يتعلَّم منَ النَّبىِّ ﷺ مكارِمَ الأَخْلاقِ والْمَبادِئَ الأَساسِيَّةَ فى الإِسْلامِ ، وراحَ يحْفظُ آياتِ اللَّه فوْرَ نُزُولها على رسولِ اللَّه ﷺ .

كانتْ شجاعَتُهُ نادرَةً وبُطُولتُهُ خارِقةً للْعادة ، وقدْ تجلَّتْ شجاعَتُهُ ليْلَةَ هجْرةِ الرَّسولِ ﷺ منْ مكَّةَ إِلى الْمدينَة .

إِنَّها شجَاعةٌ منْ نوْعٍ خاصٍّ لا يقْدرُ عليها إلا (علىُّ بنُ أَبى طالب) ولذلك اخْتارَهُ الرَّسولُ ﷺ للْقِيام بهذا الأَمْر .

فبعْدَ أنْ قرَّرَ الرسولُ ﷺ الْهجْرةَ إلى الْمَدينةِ الْمنوَّرَة ، رأَى الرسولُ ﷺ أنْ ينامَ (علىُّ بنُ أَبى طالب) فى فِراشِه ، وذلكَ لأَمْريْن :

الأَوَّلُ : أنَّ الكفَّارَ الواقفينَ أمامَ بيْتِ النبىِّ ﷺ لِمُراقَبته ، عنْدَما يَروْنَهُ نائمًا فى فِراشِه ، فسَوْف يظُنُّون أَنَّ النَّائمَ فى الْفِراشِ هوَ (محمدٌ) ﷺ نفْسُهُ . وبهذهِ الْحيلةِ يسْتطيعُ الرَّسولُ ﷺ أَنْ يَغيبَ عنْ أَنْظارِ الكُفَّارِ .

الثانى : أَنَّ الرسولَ ﷺ ، كانتْ عنْدَهُ أَماناتٌ لأَهْلِ مَكَّةَ ، فأَرادَ أنْ يَدُلَّ (علىَّ بنَ أَبِى طالبٍ) على مواضِعها حتَّى يُعيدَ هذه الأَماناتِ إِلى أصْحابها .

ولمْ يفكِّرِ الصَّبِىُّ الصَّغيرُ فيما يُمْكنُ أنْ يحدُثَ له ، عنْدَما يَلوحُ الصَّباحُ ، فيدْخُلُ الكُفَّارُ بَيْتَ الرَّسولِ ﷺ ، ويكْتَشِفونَ أَنَّ هذا الصبىَّ الصَّغيرَ قد خدَعهمْ ، وجعلَ كلَّ الْقبائلِ الْعَربيَّةِ تسْخرُ منْهُمْ وتسْتَهْزئُ بهمْ .

كلا .. لَمْ يَدُرْ بِذهنه شيْءٌ منْ هذا ، إِنَّمَا وَافقَ دُونَ تردُّدٍ ، بلْ إنَّ وجْهَه الصَّغيرَ قدْ أشْرقَ حينَ اخْتصَّهُ الرسولُ ﷺ بهذا الْعَملِ الْبُطُولِيِّ الذى يتطلَّبُ قَدْرًا هائلاً منَ الشّجاعةِ وجُرْأَةِ الْقَلْبِ .

وقَبْلَ أنْ يخرُجَ الرسولَ ﷺ مَسَحَ على رأْسِ الصَّبِىِّ ، وطَمْأَنَه قائلاً :

ـ لنْ يَخْلُصَ إِليْكَ شىْءٌ تكْرَهُهُ مِنْهُمْ .



وخرجَ الرسولُ ﷺ ، فأخذَ حفْنَةً من تُراب في يَدِهِ ، ثمَّ وضعَها على رُءُوسِ الكفَّارِ ، وأخذَ اللَّهُ تعالَى أبْصارَهُمْ فلَمْ يَرَوْهُ في أثْناءِ خُرُوجِه ، وراحَ يتْلُو قوْلَهُ تعالى :

﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * ﴾ . . . إلى قوْله تعالَى ﴿ وجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا ومِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) .

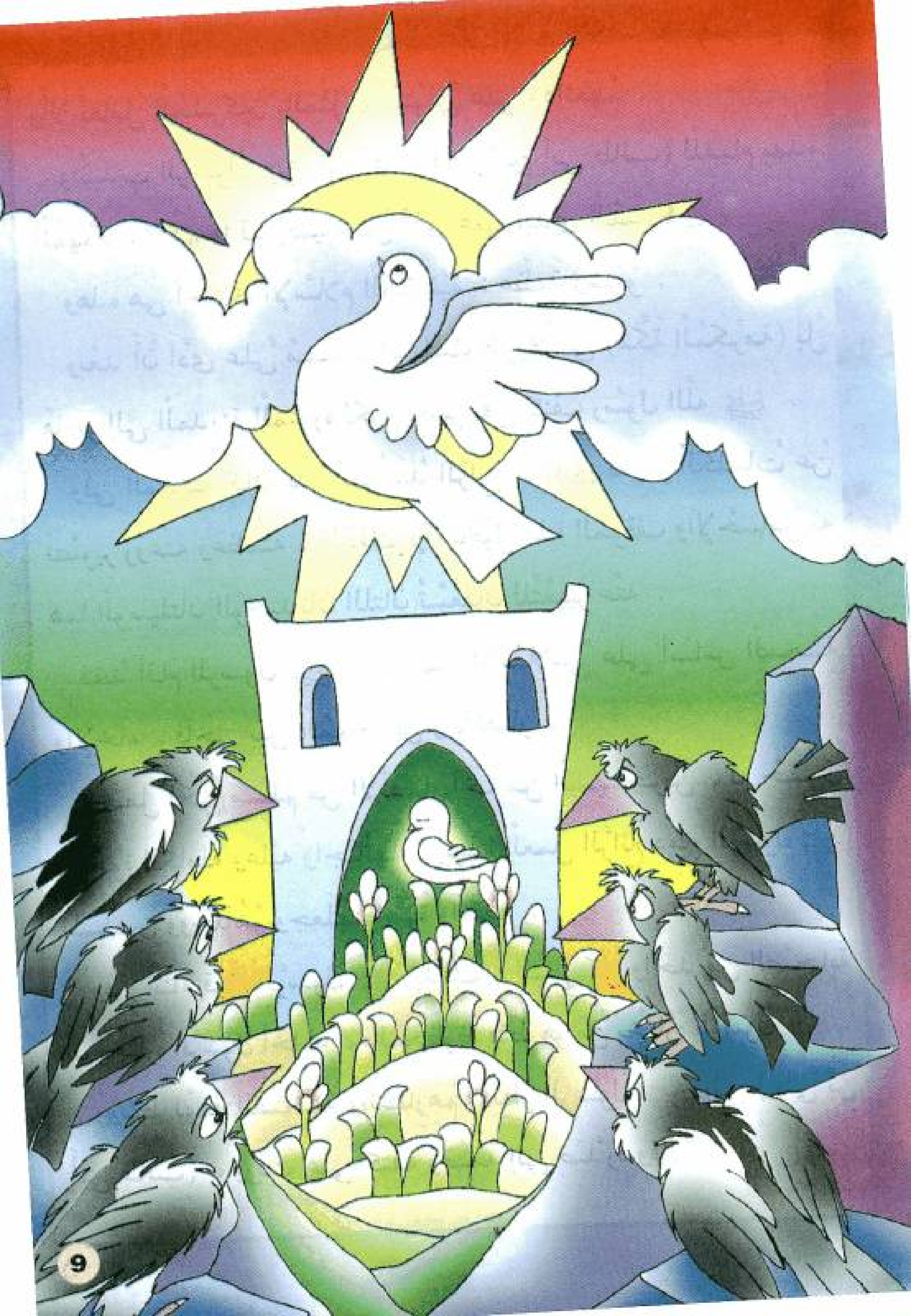
وانْصرَفَ الرسولُ ﷺ إلى حيْثُ أرادَ ، وبقِيَ الْمُشْرِكُونَ واقفِينَ ببابِهِ حتَّى الصَّباحِ دُونَ أنْ يعْلَموا بِخُرُوجِهِ ، ولما شَكُّوا في الأَمْرِ دَخَلوا فوجَدوا (علىَّ بْنَ أبِى طالب) نائمًا في فِراشِهِ ، فكادُوا يقْتُلُونَهُ لوْلا أنَّ أحدَهم قال :

ـ أتقْتُلُون صبيًا صغيرًا لا ذنْبَ له ، فتُعَيِّرُنا العربُ بذلكَ ؟

ونجا (علىٌّ) ولمْ يصبْهُ أذًى كما أخْبرهُ الصَّادق الْمَصْدُوقُ ، وأدَّى الْمُهِمَّةَ التى كلَّفه الرسول ﷺ إيَّاهَا على أكْملِ وجْه ، فقدْ ظلَّ ثلاثةَ أيَّام مُتواصلَةً يُعيدُ الأَمانات إلى أصْحابِها .

وإعادَةُ الأَمانات إلى أصْحابها ، تُعْتَبَرُ لفْتَةً أخْلاقيَّةً وإنْسانيَّةً كبيرةً منَ الرسول ﷺ .

فعلى الرَّغْم منَ اسْتيلاءِ الكُفَّار على أمْوالِ الْمُسْلمينَ وديارِهمْ بعْدَ هجْرتهمْ ، إلا أنَّ الرسُولَ ﷺ قرَّرَ إعادةَ الأَمانات إلى أصْحابها ،



وأَلا يُعامِلَ الْمُشْرِكينَ بالْمِثْلِ ويسْتَوْلِىَ على ودائِعِهِمْ .

وانْتدبَ الرسولُ ﷺ ابْنَ عمِّه (علىَّ بْنَ أَبِى طالب) للْقِيامِ بهذهِ الْمُهِمَّةِ ، بِرَغْم ما قدْ يُصيبهُ منْ أَذًى على أَيْدى الْمُشْرِكينَ .

وهذه هى أَخْلاقُ الإسْلام الْحقيقيَّةُ : عَظَمةٌ وسُمُوٌّ .

وبعْدَ أَنْ أَدَّى علىٌّ مُهِمته لمْ يلْبَثْ طَوِيلاً فى (مكَّةَ الْمُكَرَّمةِ) بلْ هَاجَرَ إِلى الْمدينةِ الْمنوَّرةِ لكىْ يَعيشَ فى كَنَفِ رسُول اللَّه ﷺ .

وفى الْمدينةِ كان هذا الْمَشْهَدُ الرَّائعُ ، الذى تعْجزُ الْكلماتُ عنْ تَصْويرِ رَوْعتِهِ وعَظمتِهِ ، ولذلكَ فإنَّ تخَيُّلَ هذا الْموْقفِ والإحْساسَ به هما الْوَسِيلتانِ الْوَحِيدَتانِ اللتانِ تُسْعفانِ للتَّعْبيرِ عنْه .

فقدْ أقامَ الرسولُ ﷺ الْمُجْتمعَ الإسْلامِىَّ على أسَاسِ الْمحَبَّةِ والإِخاءِ ، فآخَى بيْنَ الْمُهاجرينَ والأَنْصارِ .

وجعلَ لكُلِّ مسْلمٍ منَ الأَنْصارِ أخًا منَ الْمهاجِرينَ ، له حُقُوقُ الأُخُوَّةِ الكامِلةُ وعليْه واجباتُها ، وبهذا الْعملِ الرَّائعِ دَمجَ الرسول ﷺ المسلمينَ ووحَّدَهُمْ وجعلَهُمْ أسْرةً واحدةً .

وفى أَثْناء قيام الرَّسولِ ﷺ بذلكَ ، انْتَظرَ كلٌّ واحدٍ منَ الصَّحابةِ أَنْ يخْتارَهُ الرَّسولُ أخًا له ، فالْمَحْظُوظُ فقطْ هو مَنْ يخْتارُهُ الرسولُ ﷺ .

ووَسطَ لهْفة الصَّحابةِ وانْتِظارِهِمْ ، نظرَ الرسولُ ﷺ إلى (علىِّ بْنِ أَبى طالب) ، وربَّتَ على كَتِفه وضَمَّهُ إلى صدْره وقالَ :

ـ وهَذَا أَخِى .

يا لَهُ من غُلام محْظوظ ، أهَّلَتْهُ مكانَتُه ومَنْزِلَتُهُ فى قلْبِ الرَّسولِ ﷺ لأنْ يختارَه لكَىْ يكونَ أَخاهُ .

ويا لَهُ من شرَف ناله (علىٌّ) وهو يَسْتَحِقُّهُ .. ولمْ يَزِدْهُ هذا الموْقفُ وهذا الاخْتيارُ إلا تواضُعًا ، وإحْساسًا بالْمَسْئولِيَّةِ الْمُلْقاة على عاتِقِه .

ومرّتِ الأيّامُ مُسْرِعةً ، وبدأَتِ الحرْبُ تشْتَعِلُ بيْنَ المسْلمينَ والْكُفّارِ . وكان (عليُّ بْنُ أَبي طالبٍ) واحدًا مِنْ أبْرزِ الأبْطالِ وأشْجَعِ الفُرْسَانِ الذين عُرِفُوا في تاريخِ الإسْلام ، فكانَ لا يَهابُ الموْتَ ولا يَخافُ مِن لقاءِ الأعْداءِ .

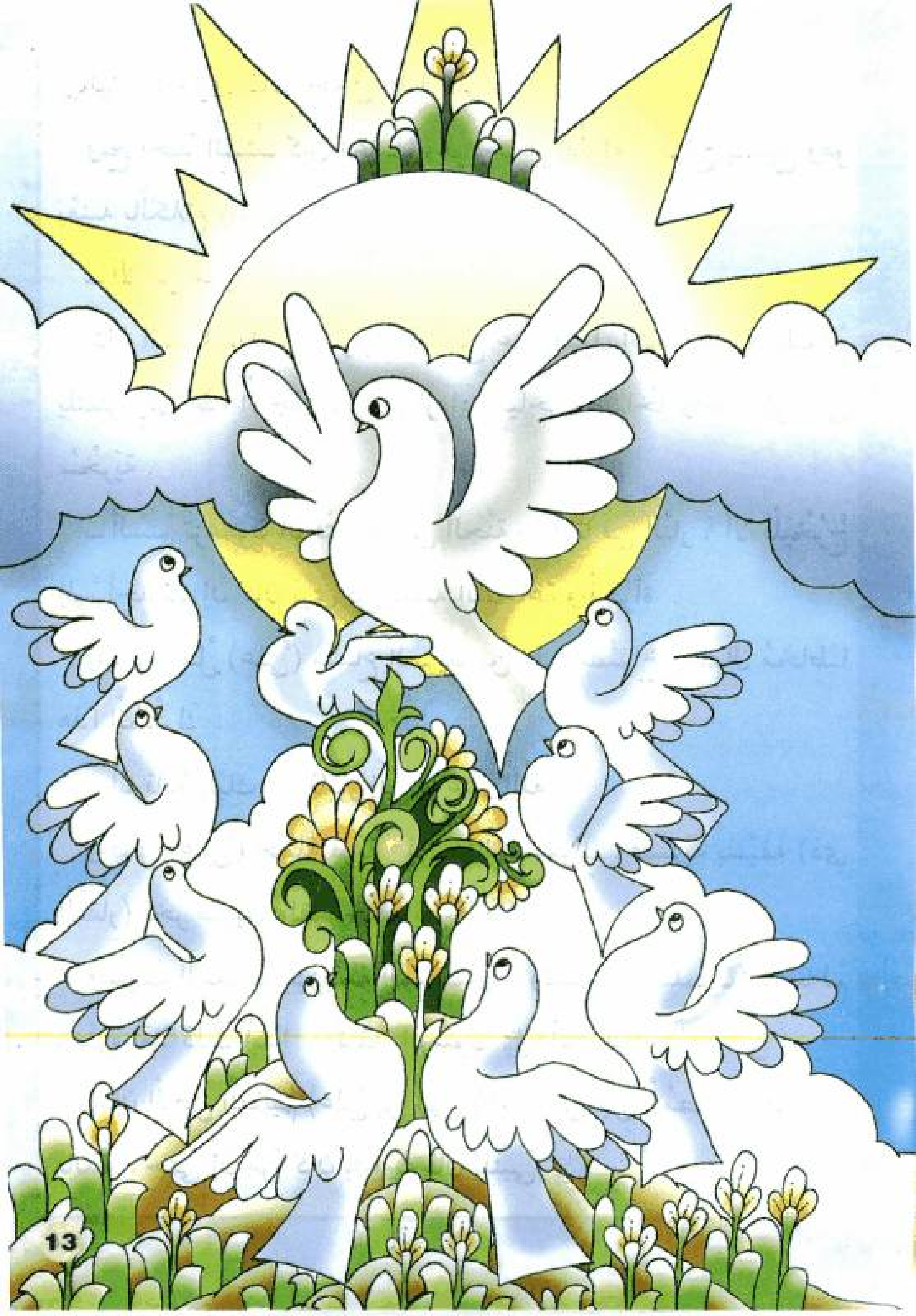
ولم يكُنِ الكفّارُ يخْشوْن أحدًا كخشْيتهمْ لـ (علِيّ بْنِ أبِي طالبٍ) .

في غزْوَةِ (أُحُد) كان عددُ المشركينَ أكْبرَ بكثيرٍ منْ عددِ الْمُسْلمينَ ، فقد حشَدَتْ قريْشٌ كلَّ قُوّتِها منْ أَجْلِ الثّأْرِ من الْمُسْلمينَ بعْد أنْ هزَمُوهُمْ هزِيـمَةً قاسِيةً في غزْوَةِ (بدْرٍ) .

وفي هذه الْغزْوَةِ كان الْمُسْلمونَ منْتَصِرينَ في أوّلِ الأمْرِ ، لكنَّ هذا النَّصْرَ قد تحوّلَ إلى هَزِيـمَةٍ ، بعْدَ أَنْ خالفَ الرُّماةُ أَمْرَ الرّسولِ ﷺ ، ونزَلُوا منْ فوْقِ الْجَبَلِ وراحُوا يُطارِدونَ فُلُولَ الْمُشْركينَ الهارِبَةَ ، برَغْمِ ما أمرَهُمُ الرسولُ ﷺ بهِ منْ عدمِ النُّزولِ إلا بإِذْنِه .

والْمِحَنُ هي الّتي تُظْهِرُ الرجالَ ، فَفِي هذه الْمَعْركَةِ ووَسطَ أجْوائِها الرّهيبَةِ ، أَظْهَرَ (عليُّ بْنُ أَبِي طالبٍ) شجاعةً فائقةً ليْسَ لها مَثِيلٌ .

فقدْ سقطَ (مُصْعَبُ بْنُ عُميْرٍ) الذي كان يحْمِلُ (لِواءَ الْمسْلمينَ) شَهِيدًا ، وسقَطَ معهُ اللّواءُ ، وسقُوطُ اللّواءِ معْنَاهُ انْهِزامُ الْجَيْشِ ، أو على الأقَلِّ يساعدُ على الْهزِيـمةِ ، لذلك فقدْ أَسْرعَ (عليُّ بْنُ أبي طالبٍ) وحمَلَ (اللّواءَ) وراحَ يُقاتِلُ قتالَ الأبْطالِ بإحْدَى يدَيْه ،



وبالْيَدِ الأُخْرى كان يحْملُ هذا اللّواءَ .

ولمحَ أَحَدُ الْمشْركينَ (عَلِيًا) وهو يَحْملُ اللّواءَ ، فراحَ يصيحُ وهو يعْنيه بالْكلام ويقولُ :

ـ أَلا مِنْ مُبارزٍ ؟

كان الْمُسْلمونَ مشْغُولينَ بالدِّفاعِ عنْ رسُولِ اللَّه ﷺ ، لذلك لمْ يلْتفِتُوا إلى هذا الرَّجُلِ ، الذى ازْدادَ صِياحُهُ وصُراخُهُ وأَخذ يقولُ فى سُخْرِيَة .

ـ أَلسْتُمْ تَزْعمونَ أَنَّ قتْلاكُمْ فى الْجنَّةِ وقتْلانا فى النَّارِ ؟ أَلا فلْيَخْرُجْ إلىَّ أحَدُكم إنْ كان يَرَى فى نفْسه الشّجاعةَ والْجُرْأَةَ .

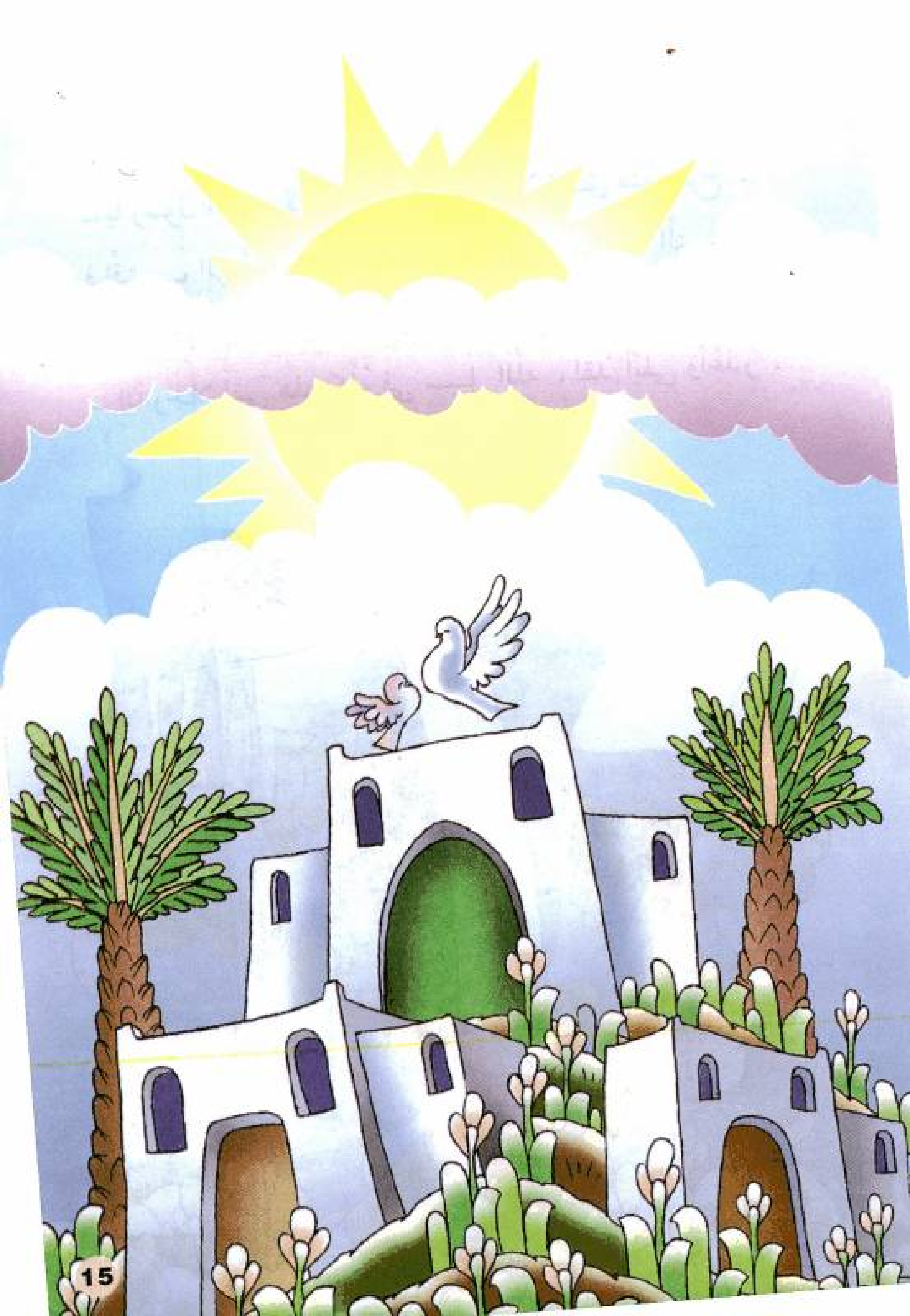
ولم يتحمَّلْ (علىٌّ) سَماعَ الْمزِيد منْ هذا الصُّراخِ ، فقالَ مُخاطِبًا هذا الْمُشْركَ :

ـ أنا قادمٌ إِليْكَ . . فابْرُزْ إِلَىَّ يا عَدُوَّ اللَّه .

وحملَ (علىٌّ) حمْلةً قويَّةً على هذا الْمشْرِكِ ، فَضربَهُ بسيْفِه (ذى الْفَقَارِ) فخرَّ صَرِيعًا ولَقِىَ حتْفَهُ فى الْحَالِ .

وانْتهتِ الْمعْركَةُ بهزِيمةِ الْمُسْلمينَ ، وتعلَّم (الْمُسْلمون) دَرْسًا لمْ ينْسَوْهُ بعْد ذلك أبدًا . وتفقَّد الرسولُ ﷺ الشُّهداءَ والْجَرْحَى .

وكانَ الْبطلُ الْعظيمُ (علىُّ بْنُ أَبى طالب) منْ بيْنِ الْمُصابينَ إِصَاباتٍ بالِغَةٍ ، حتى إِنَّ مَنْ كانَ يُداويه قالَ للنبىِّ ﷺ :



ـ يا رسولَ اللَّهِ ، لا نُعالجُ منه جُرْحًا إلا انْفَتقَ منْهُ جُرْحٌ .

فاقْتربَ الرسُولُ ﷺ منْهُ ، ونظرَ إلى جِراحِه الَّتى تَمْلأُ جَسَدهُ ، فأَبْدى إِعْجابَه الشَّديدَ بشجاعَته النَّادرة وقال :

ـ إنَّ رجلاً لَقِيَ هذا كلَّهُ فى سبيل اللَّه ، لقدْ أَبْلى وأَعْذرَ .



ورأى الرسولُ ﷺ أنْ يرْفعَ من مَعْنوِيَّاتِ (علىٍّ بْنِ أَبى طالب) فقالَ عَنْ (علىٍّ) وسيْفه (ذى الْفَقَارِ) :

ـ لا سيْف إلا ذُو الْفَقارِ ولا فَتَى إِلاَّ (علِىٌّ) .

ولَئنْ كانتْ شجاعةُ (علىٍّ) شَيْئًا يفوقُ الْوَصْفَ كما رأَيْنا فى مَواقفه السَّابقة ، فإنَّ شجاعتَهُ يوْمَ (الْخَنْدَقِ) كانتْ شيْئًا يُشْبهُ الأساطيرَ .

فقدِ اسْتطاعَ جماعةٌ من الْمُشركينَ أنْ يتسلَّلُوا منْ إِحْدى الثُّغَر إلى الْمكانِ الَّذى يحْتمى بهِ الْمُسْلمونَ .

وكانَ (عَمْرُو بنُ عَبْدِ وَدٍّ) أَشْجعَ فارسٍ عرَفَتْهُ الْعربُ بينهمْ ، وكان مُدَرَّعًا بالْحديدِ فلا يُمكنُ لأىِّ سيفٍ أَنْ يخترقَ جسَده .

وراح (عَمْرُو) هذا يَصيحُ وينادى بأعْلى صَوْتِه :

ـ أَلا منْ مُبارِزٍ ؟

فلمْ يجْرُؤْ أَحدٌ على مُبارزتهِ . فقامَ (علىُّ بْنُ أَبى طالب) بكُلِّ شجاعَةٍ وقالَ للنَّبىِّ ﷺ :

ـ أَنا لها يا نَبِىَّ اللَّه .

لكنَّ النبىَّ ﷺ كانَ يعْرِفُ قوَّةَ (عَمْرو بْنِ عبْدِ وَدٍّ) فَخشِىَ على (علِىٍّ) منْه فقَالَ :

ـ إِنَّه (عَمْرو) ، اجْلِسْ .

لكنَّ (عمْرو بْنَ عَبدِ وَدٍّ) تمادَى فى صِيَاحِه وراحَ يقولُ فى سُخْرِيَة :

ـ أَيْن جَنَّتكُمُ الَّتى تزْعُمونَ أَنَّه مَنْ قُتِلَ منْكُمْ دَخلَها ؟ أَفلا تُبرِزُونَ إلىَّ رَجُلاً .

ولمْ يسْتطعْ (علىٌّ) أنْ يَرَى هذا الْكافِرَ وهو يَصيحُ ويَسْخَرُ من الْمُسْلمينَ ، فَقامَ شاهرًا سيْفَهُ ، وعلى وجْههِ علاماتُ الْغَضَبِ والتأَثُّرِ ، واسْتَأْذَنَ مِنَ النبىِّ ﷺ فقَالَ له :

ـ إِنَّه عَمْرٌو !

وبكُلِّ ثقَةٍ فى نصْر اللَّه وتأْيِيدِه قال (علىٌّ) للرَّسولِ ﷺ :

ـ وإنْ كانَ عَمْرًا يا رسُول اللَّهِ .

فأَذِنَ لَهُ الرسولُ ﷺ ، فَمَضَى إِلَيْه (علىٌّ) ووقف وجْهًا لِوَجْه أمامَ هذا الْفارسِ العَنيدِ .



وقبْلَ أنْ تبْدأَ الْمُبارزَةُ أرادَ (علىٌّ) أنْ ينْصحَ (عمرًا) ويدعُوَهُ للإِسْلامِ فقال :

ـ يا عمرو ، إنَّك كنْتَ عاهدْتَ اللَّه ألا يدْعُوَكَ رجلٌ منْ قريْشٍ إلى إحْدَى خُلَّتَيْنِ إلا أخذْتَهَا منْهُ .

فأجابَ (عمْرٌو) :

ـ أجَلْ .

فقالَ (علىٌّ) :

ـ فإنى أدعُوكَ إلَى اللَّهِ وإلى رسُولِه وإلى الإسْلامِ .

فقال (عَمْرٌو) فى غُرُورٍ :

ـ لا حاجةَ لى فى ذلك .

فَشَهرَ (علىٌّ) سَيْفَه فى وجْه (عَمْرٍو) وقالَ فى تَحَدٍّ :

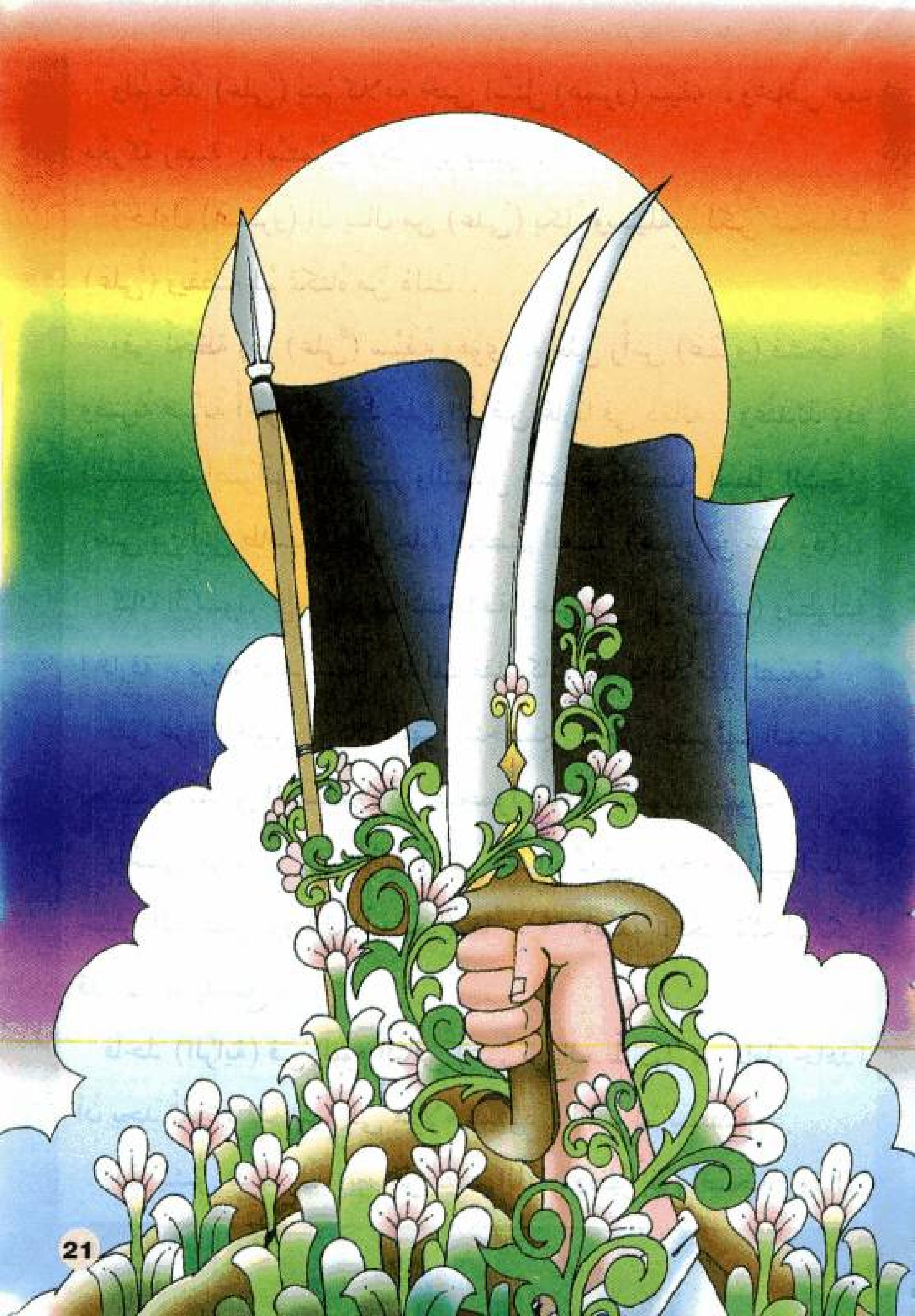
ـ إذَنْ فأنا أدْعُوكَ إلى النِّزالِ .

ونظرَ (عَمْرو) طَوِيلاً إلى (علىِّ بْنِ أَبى طالبٍ) فرآهُ شابًا صغيرًا ، فقال ساخِرًا :

ـ أمِنْ أعْمامِكَ مَنْ هوَ أكْبَرُ منْكَ سنًا فأَدْعُوَهُ ليُبارزَنى ، فإنِّى أكْرَهُ أنْ أُريقَ دَمَك ، وأنْتَ غُلامٌ صَغِيرٌ .

لكنَّ (علىَّ بْنَ أَبى طَالبٍ) قال فى شجاعةٍ وحزْمٍ :

ـ لكنِّى واللَّهِ ، أُحِبُّ أنْ أقْتُلَكَ فى سَبيلِ اللَّهِ ، ولا أكْرَهُ أنْ أُريقَ دَمَكَ .



ولمْ يكَدْ (عليٌّ) يُتِمُّ كلامَه حتى استَلّ (عمرٌو) سَيْفَه ، وخاضَ معه معْركةً رهِيبَةً ، استمرَّتْ وقتًا غيْرَ يسير .

وحاولَ (عَمرٌو) أنْ ينالَ منْ (عليٍّ) بكلِّ وسيلة . لكنَّ شجاعَةَ (عَليٍّ) ويقْظَتَه لمْ تمكِّناهُ منْ ذلكَ .

وفى لَحْظَة رَفعَ (عليٌّ) سيْفَهُ وهَوَى به على رأْسِ (عَمْرٍو) فشَجَّهُ . وضرَبهُ ضَرْبةً أُخْرى فسقَطَ على الأرْضِ غارِقًا فى دمائه . وعنْدَئذٍ رَفعَ الْمُسْلمونَ أصْواتَهُمْ بالتكْبير والتَّهْليلِ ابْتهاجًا بانْتصارِ الْبَطَلِ الشجّاعِ (عليِّ بْنِ أَبى طالبٍ) على هذا الْخَصْمِ الْعنيدِ (عَمروِ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ) .

كانَ الرَّسولُ ﷺ يعْرِفُ شجاعةَ (عليِّ بْنِ أَبى طالبٍ) وبُطولَتَهُ الخارِقةَ ، برَغْم صِغَرِ سِنِّه ، لذلكَ فقدْ كان ينْتدِبُه للأُمورِ الصَّعْبة .

ففى غَزْوَةِ (خيْبَرَ) ، كان الْيهودُ مُتحصِّنينَ داخلَ حُصُونِهمُ الْمَنيعةِ ، بحيْثُ لا يُمْكنُ للمُسْلمينَ أَن يقْتحِموا هذه الْحُصُونَ بسُهُولة .

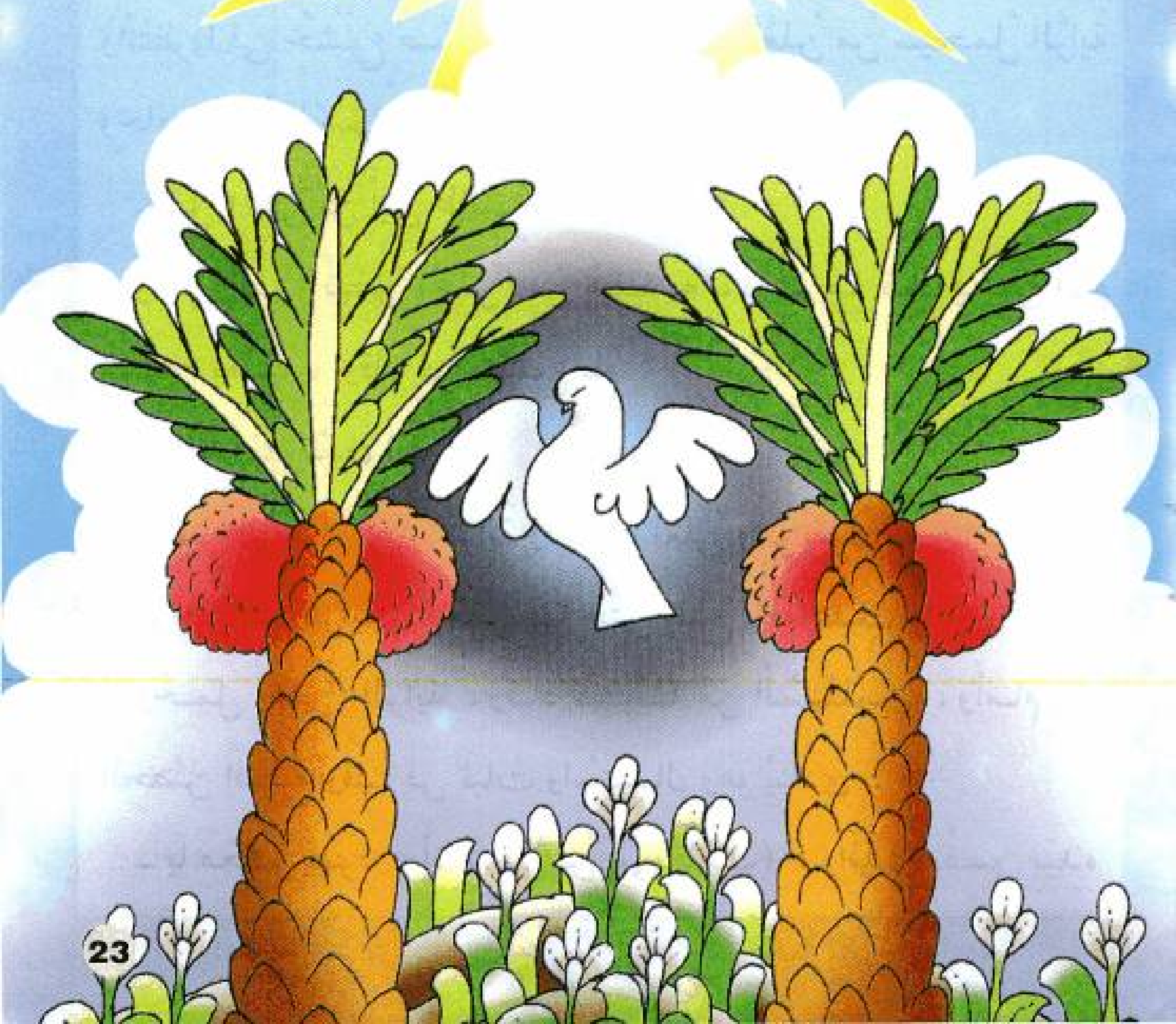
وأَعْطَى الرسولُ ﷺ الرَّايةَ (لأَبى بكْرِالصّدّيقِ) وجعلهُ أَميرًا على جيْشِ الْمُسْلمين ، وبذلَ (أَبو بكْرٍ) كلَّ ما فى وُسْعِه ، لكنَّ اللّهَ لمْ يكنْ قدْ أَذِنَ له بالْفَتْح .

فأخذَ (الرَّايَةَ) فى اليوم التَّالى (عمرُ بنُ الْخطَّاب) ، وحاولَ جاهِدًا أَنْ يجدَ ثُغْرَةً ينْفذُ منها إلى هؤلاءِ الْيهودِ ، لكنَّه لمْ يسْتطِعْ .

ولمْ ييْئَسِ الرَّسولُ ﷺ منْ نصْرِ اللّه ، ونظر إلى أَصْحابِه وقال

ووَجْهُه يُشْرِقُ بابْتِسامة :

ـ لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غداً رَجلاً يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَهُ ، ويُحِبُّهُ اللَّهُ ورسولُه ، يفْتحُ اللَّهُ عليْهِ .



وتَمَنَّى كلُّ مُسْلِم فى قَرارةِ نَفْسه أَنْ يكونَ هو هذا الرَّجُلَ الذى يَفْتَحُ اللَّهُ على يديْهِ ، وأَنْ يكونَ هو مَنْ يُحبُّهُ اللَّهُ ورسُولُهُ .

بلْ إِنَّ (عُمَرَ بْنَ الْخطَّاب) تمنى أَن يَكُونَ هو حامِلَ تِلْكَ الرَّايةِ ، برَغْمِ كَراهِيَةِ (عمرَ) للإمارةِ ، قال (عُمَرُ) :

ـ ما تَمَنَّيْتُ الإِمارةَ قطُّ إلا ذلك الْيَوْم ، رجاءَ أَنْ أكونَ مَنْ يُحبُّهُ اللَّهُ ورسولُه .

وفى الْيومِ التَّالى تطلَّع الصَّحابةُ جميعًا إلى حَمْلِ هذه الرَّايةِ ، وانْتظروا فى خُشُوعٍ صوْتَ الرَّسولِ ﷺ وهو يُعْلِنُ مَنْ سيحملُ الرَّايةَ وجاء صوْتُ الرَّسول ﷺ ليقولَ :

ـ أيْنَ (علىُّ بْنُ أَبى طالبٍ) ؟

وعلى الْفَوْرِ نهضَ (علىٌّ) مِن مَقامِهِ ، برَغْمِ ما كانَ به منْ آلامٍ شديدةٍ بعَيْنَيْهِ ، وقال فى خُشوعٍ تامٍّ :

ـ هأنذا يا رسُولَ اللَّه .

فحملَ الرَّسولُ ﷺ الرَّايةَ وأَعْطاها لعَلىٍّ وهو يقولُ :

ـ خذْ هذه الرَّايةَ ، فامْضِ بها حتَّى يفْتحَ اللَّهُ عليْكَ .

وحملَ (علىٌّ) الرايةَ ، وقادَ كَتيبةً منَ الْمُسْلمين ، وأَمامَ بابِ الْحِصْنِ الْمَنيع وقفَ فى ثَباتٍ واسْتِبْسَالٍ وهو يُنادى :

ـ يا معْشَرَ يَهُود ، أَنا (علىُّ بْنُ أَبى طالبٍ) ، والَّذى نَفْسى بِيَدِهِ

لأَذوقَنَّ ما ذاقَ (حَمْزةُ) أَوْ لَيَفْتَحَنَّ اللَّهُ لي .

ولمْ يَكَدِ الْيهودُ يسْمعونَ نداءَ (عليٍّ) حتى امْتلأَتْ قُلوبُهُمْ رُعْبًا ، وراحَ كلٌّ مِنْهمْ يبحثُ عنْ مَخْبأٍ يَخْتبئُ فيه .



وانْدَفعَ (عليٌّ) وخَلْفَه الْمُسْلِمُونَ نحوَ بابِ الْحِصْنِ وهمْ يكبِّرونَ بأَعْلى صوْت : « اللّهُ أكبرُ » ، حتى فُتِحَ بابُ الْحِصْنِ .

وفى أَثْناءِ فَتْحِ (عليٍّ) لِلْباب وقعَ سَيْفُه على الأَرْضِ ، فحاولَ بعْضُ الْيهودِ أَنْ ينالوا مِنْهُ ، لكنَّهُ حملَ هذا الْبابَ وراحَ يُدَافعُ به عنْ نفْسِه .

ولمْ يكُنْ هذا البابُ خفيفًا ، بلْ إنَّ ثمانيةً مِنَ الرِّجال لَمْ يكونوا قادِرينَ على حَمْلِه . يقولُ أحَدُ الْحاضرين هذه الْغَزْوَةَ :

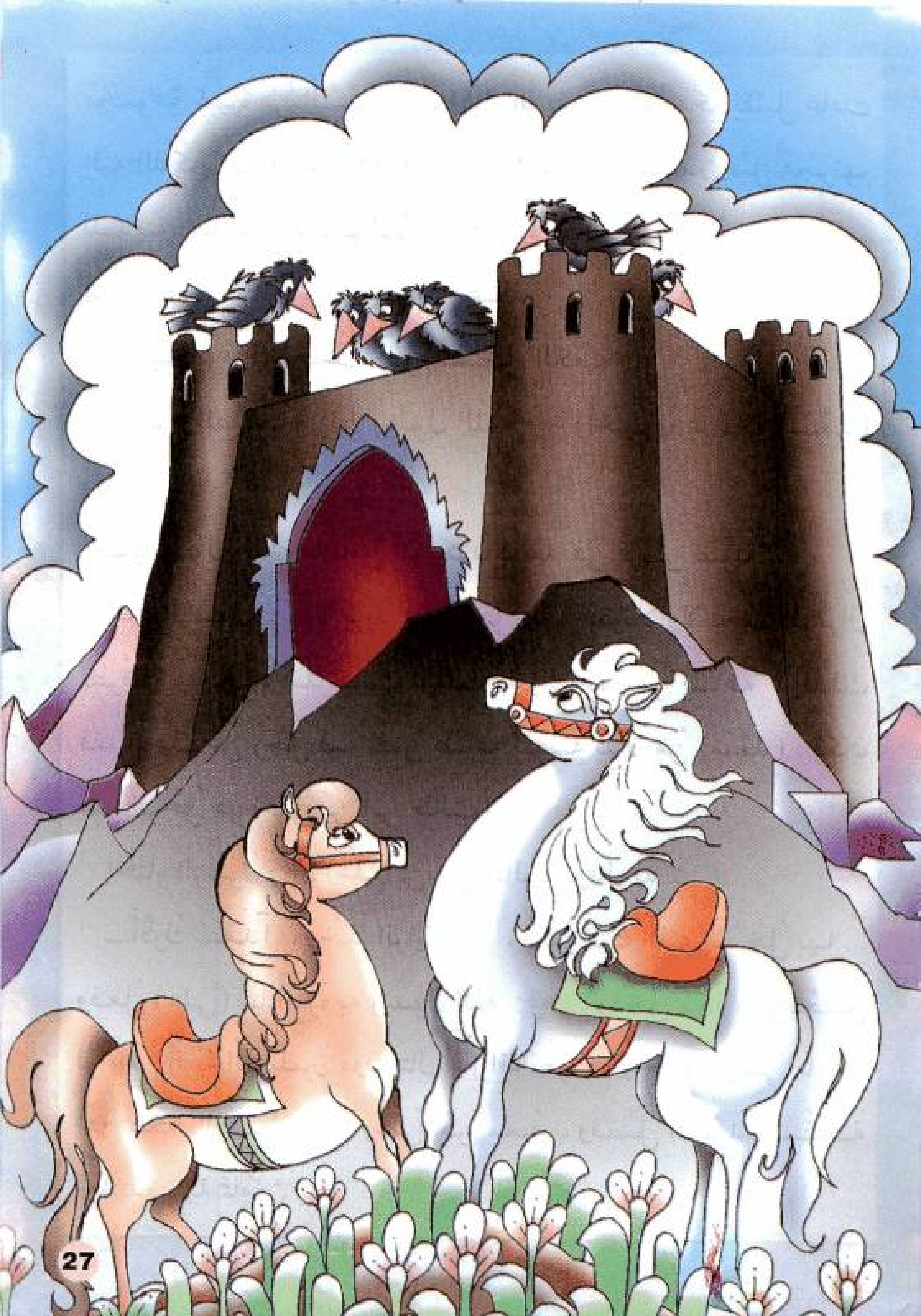
ـ لقدْ كُنْتُ ومعى سَبْعةٌ منَ الرِّجال ، يشُقُّ علَيْنا أَنْ نقْلِبَ ذلك الْبابَ ، بيْنما كان فى يدِ (عليٍّ) يُحارِبُ به وكأَنَّهُ يحْمِلُ سيْفًا .

وما هى إلا لحظاتٌ حتى كانَ الْمُسْلمون يدْخلونَ الْحِصْنَ من كلِّ جانِبٍ ، وانْتصروا على الْيهودِ نصْرًا مُبينًا تحتَ قيادَةِ هذا الْبَطلِ الشُّجاعِ (علىِّ بْنِ أَبى طالبٍ) .

على أنَّ الشَّجاعةَ التى كان يتمتَّعُ بها (علىُّ بْنُ أَبى طالبٍ) لمْ تَجْعَلْهُ يتكبَّرُ أَوْ يَخْتالُ على الناس ، إِنَّما هى شجاعةٌ فى الْحقِّ ومِنْ أَجْلِ الدِّفاعِ عنِ الْمبادِئ .

وقد كانَ (علىٌّ) إلى جانب هذه الشَّجاعةِ والْبُطُولةِ الْخارقةِ يتمتَّعُ باللِّينِ وضَبْطِ النَّفْسِ وعدمِ التَّهَوُّرِ ، فشجاعَتُه مَحْكومةٌ بكتاب اللّه وسُنَّةِ رسُولِه .

ففى أَثْناءِ فتح مكَّةَ كان (سعدُ بْنُ عُبادَةَ) يحملُ الرايَةَ على رأْسِ



مَجْموعة كبيرةٍ من الْمُسْلمين ، وقبْل أَنْ يقترِبَ من مكَّةَ بقليلٍ عادتْ إِليْه الذِّكْرَيات ، وتذكَّرَ ما فعلهُ الْمُشْركون مع الْمُسْلمين قبْل هِجْرَتِهم للمدينةِ : تذكَّرَ تعْذيبَهمْ لهمْ ، ومُصادرَةَ أَمْوالِهِمْ ودِيارِهِمْ ، وهنا أَقْسمَ أَنْ يَنْتقِمَ من أهلِ مكَّةَ ، وقال في غَيْظٍ :

ـ الْيَوْمَ يومُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحلُّ الْكَعْبةُ .

وأسْرعَ الصَّحابةُ إلى رسُولِ اللَّه ﷺ وأَخْبَروهُ بما قاله (سَعْد) وقالوا له :

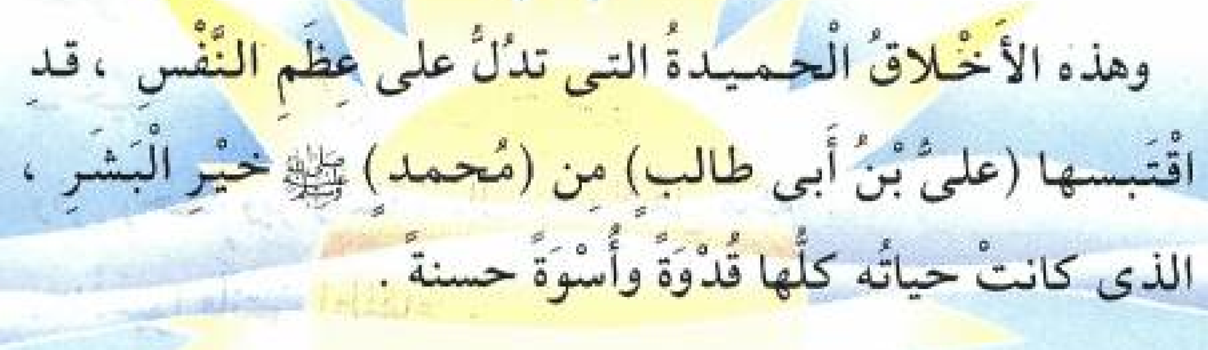
ـ يا رسُولَ اللَّهِ ، ما نأْمَنَ أَنْ يكونَ لِسَعْدٍ في قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ .

كانَ الرسولُ ﷺ لا يُريدُ أَنْ يدْخُلَ مكَّةَ مُقاتلاً ولا يُحِبُّ أَنْ تُراقَ قطْرَةُ دم واحدةٌ ، فقدْ كانَتِ السَّماحَةُ والرَّحْمةُ منْ طِباعِه ، ولذلك فقدْ بحثَ عنْ رجُلٍ فيه نَفْسُ طِباعِهِ لِيُولِّيَهُ بدلاً من (سَعْدٍ) ، فكان هذا الرجُلُ هو (عليُّ بْنُ أبي طالب) .

اخْتار الرسُولُ ﷺ (عليَّ بْنَ أَبي طالب) وقال له :

ـ أَدْرِكْ سعْدًا ، وخُذِ الرايةَ منْهُ ، فكُنْ أَنْتَ الَّذي تدْخُلُ بها . .

وفعلَ (عليٌّ) ما أَمَرهُ به رسولُ اللَّه ﷺ ، ودخلَ مكَّةَ وهو يَحْملُ لواءً منْ أَلْوِيَةِ الْمُسْلمينَ دونَ قتالٍ أَوْ إِراقة قطْرَةِ دم واحدة ، ونسيَ ما فعَلهُ أَهْلُ مكَّةَ بالرسول ﷺ وبِمَنْ آمَنَ معهُ ، وفَضَّلَ أَنْ يبْدأَ صفْحةً جديدةً نقيَّةً تمامًا .



وهذه الأَخْلاقُ الْحميدةُ التى تدُلُّ على عِظَمِ النَّفْسِ ، قدِ
اقْتَبسها (علىُّ بْنُ أَبى طالبٍ) مِن (مُحمد) ﷺ خيرِ الْبَشَرِ ،
الذى كانتْ حياتُه كلُّها قُدْوَةً وأُسْوَةً حسنةً .

فبعْد أنْ دخلَ ﷺ مكَّةَ وقدرَ على أَهْلها قال لهمْ :

ـ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، ما ترَوْن أنِّى فاعِلٌ بِكُمْ ؟

فقالوا :

ـ خيْرًا . . أَخٌ كريمٌ وابْنُ أَخٍ كريم .

وفى رحْمة وبِرٍّ وشفَقة قال ﷺ لأَهْل مكَّةَ :

ـ اذْهَبوا فأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ .

وقد تكرَّرَ انْتدابُ الرسولِ ﷺ لـ (علىِّ بْنِ أبى طالب) كثيرًا ، للْقيام بالْمَهامِّ الصَّعْبةِ التى تتطَلَّبُ الشَّجاعةَ والْجُرْأَةَ ، كما تقْتَضى اللِّينَ والتَّسامُحَ .

فبعْدَ فتح مكَّةَ أَرْسلَ الرسولُ ﷺ (خالدَ بْنَ الْوليد) إلى بعْضِ الْقبائلِ الْعَربيَّةِ الْقَرِيبَةِ منْ مكَّةَ ، وأَمَرهُ أَنْ يدْعُوَهُمْ إلى الإسلامِ باللِّينِ والْحُسْنَى ، وألا يُريقَ قطْرةَ دم واحدَةً .

وفى إحْدى هذه الْقبائلِ ، سارَتِ الأُمورُ على غَيْرِ ما يُريدُ (خالدٌ) فقدْ تصرَّفَ بعضُ أَفْرادِهَا تصرُّفًا أَحْمقَ ضايَقَ (خالدًا) ، فاضْطُرَّ إلى قتْلِ هؤُلاءِ الأَفرادِ عِقابًا لهمْ على سُوء صَنِيعِهمْ .

وعنْدمَا عَلِمَ الرَّسولُ ﷺ بما صنعَهُ (خالدُ بْنُ الْوَليدِ) غضِبَ غضبًا شَديدًا ، واسْتَدْعَى على الْفوْرِ رجُلَ الْمَهامِّ الصَّعْبةِ (علىَّ بْنَ أبى طالبٍ) لكىْ يُصْلِحَ ما أَفْسدَهُ (خالدٌ) وأَوْصاهُ بقوْلِهِ :



ـ يا (علىُّ) ، اخْرُجْ إلى هؤلاءِ القومِ ، فانْظُرْ فى أَمْرِهِمْ ، واجْعَل أَمْرَ الْجاهليَّةِ تَحْتَ قدَمَيْكَ .

وأَعْطى الرسولُ ﷺ مالاً كافيًا لـ (عَلِىِّ بْنِ أَبِى طالبٍ) لكىْ يدفَعَهُ لأَهلِ الْقَتْلى تعْويضًا لهم عمَّا لَحِقَ بهمْ .

وتبدَّلَ الْموْقِفُ تمامًا بعْد ذهابِ (علىٍّ) ، فقدْ قامَ بِمُهِمَّته على أَكْملِ وَجْهٍ ، فقدْ نصح للّهِ وأَمَرَ بالْمَعْروفِ ونهى عنِ الْمُنْكرِ ، وعرَّفَ هذه الْقبائلَ بحقيقةِ الإِسْلام ومبادئه بأُسْلوبٍ مُؤَثِّرٍ رائع .

وظلَّ (علىُّ بْنُ أَبى طالب) شجاعًا وبَطلاً منْ طِرازٍ فَريدٍ حتى آخرِ لَحْظَةٍ منْ حياتِه . . وهى بُطُولةٌ بَدأَتْ معهُ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ ، وهى بُطُولةٌ ليْسَتْ فى ساحةِ الْمَعْركةِ فَحَسْبُ ، ولكنَّها بطولَةٌ فى شَتَّى مجَالاتِ الْحيَاةِ .

ولمْ تتوقَّفْ بُطُولةُ (علىِّ بْنِ أبى طالبٍ) عنْد هذا الْحدِّ ، ولكنَّ هذه قَطْرةٌ مِنْ مُحيطٍ واسع ، اكْتَفَيْنا بها لكىْ تكْشِفَ عنْ حقيقةِ نَفْسه وجَوْهَرِهِ الأَصيلِ . . فهو بَطَلٌ فى كُلِّ الْمَواقفِ .

بطَلٌ مِنْ طِرازٍ فَريدٍ .

(تمَّتْ)

رقم الإيداع : ٢٠٨٠

الترقيم الدولى : ٤ ـ ٣٠٧ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧